محمد علي طه

1941\_

د. رقية زيدان

ولد الكاتب محمد علي طه في قرية ميعار في الجليل في العام1941 وفي العام 1948 هدمت القوات الإسرائيلية القرية، وصادرت أراضيها ، وأصبح لاجئاً في وطنه. سكن في قرية كابول الجليلية. درس الأدب العربي والتاريخ في جامعة حيفا، وحصل على اللقب الجامعي الأولB.A. .ثم عمل مدرساً للغة العربية وآدابها في كلية الأرثوذكسية العربية بحيفا لمدة 25 عاما .

كان محمد علي طه من مؤسسي اتحاد الكتاب العرب في "إسرائيل" في العام 1987، وانتخب رئيسا له في العام 1991. نال وسام القدس للثقافة والفنون في العام 1997. عمل الكاتب محمد علي طه محرراً ثقافياً في صحيفة "الاتحاد" عام (1982\_1990) وترأس أيضا مجلة "الجديد" 1990. والمحرر المسؤول لمجلة "48" التي صدرت عن اتحاد الكتاب العرب.

ومن الجدير ذكره أن الكاتب محمد علي طه انتخب في العام 1998 رئيساً للجنة "إحياء ذكرى النكبة والصمود" التي قامت بنشاطات واسعة في البلاد إحياء للذكرى الخمسين لنكبة الشعب الفلسطيني .

وترجمت قصصه إلى العبرية والروسية والألمانية والبولونية والبلغارية والانجليزية واليونانية.

صدرت عن أعماله دكتوراه في جامعة برلين للشاعر علي الصح .

نال الكاتب محمد علي طه درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة رومانية عن روايته الجديدة "سيدة بني بلوط".

**مؤلفات محمد علي طه**

ألف الكاتب محمد علي طه عدة مجالات في الأجناس الأدبية، ألف في مجال القصة القصيرة ، وفي قصص الأطفال. ومقالات ساخرة. ومسرحيات .ورواية

القصص القصيرة

1. لكي تشرق الشمس, الناصرة ، مطبعة الحكم ، 1964.
2. سلاما وتحية عكا ،دار الجبل ،1969.
3. جسر على النهر الحزين ،عكا ، منشورات عربسك،1974.
4. عائد المعياري يبيع المناقش في تل الزعتر ،عكا ،منشورات العودة 1978.
5. وردة يعيني حفيظة ،عكا مطبعة أبو رحمون ، 1983.
6. عائد وحفيظة،القاهرة ،دار الثقافة الجديدة ، 1989.
7. ويكون في الزمن الآتي ، كفر قرع ، دار الشفق للنشر والتوزيع ، 1989.
8. النخلة المائلة ، كفر قرع ، دار الهدى ، 1995.
9. الولد الذي قطف الشمس ، القاهرة ، دار قضايا الفكرية للنشر ، 2000.

قصص الأطفال :

1. الأميرة رشا ، الناصرة ، دار الثقافة العربية ، 1994 .
2. ملك الفواكه ، كفر قرع ، دار الهدى للطباعة والنشر .
3. الحفلة الكبيرة ، كفر قرع ، دار الهدى للطباعة والنشر .
4. اربعة كتب للاطفال ضمن سلسلة "أساطير العالم للأطفال " .

مقالات ساخرة :

1. مناقيش ، الناصرة ، المطبعة الشعبية ، 1991.
2. بالعربي الفصيح ، حيفا ، مطبعة الكرمة، 1995.

مسرحيات:

1. حوض النعنع ، حيفا، فرقة سلمى ، 1996.
2. اضراب مفتوح ، حيفا ، مسرح الميدان،1999.
3. يا هيك.. يا بلاش !،حيفا ،مسرح مفاتيح، 2001.

**أدب محمد علي طه:**

يقسم الدارسون أدب محمد علي طه إلى مرحلتين مركزيتين أما المرحلة الأولى فتعنى بالهموم الاجتماعية التي كان الكاتب يستمدها من بيئته القريبة من القرية .من عاداتها وموروث أهلها بآلامهم وآمالهم .بهذا المفهوم تمتد هذه المرحلة على مساحة جغرافية محدودة هي حدود القرية ، قلما كان الكاتب يتجاوزها أو يتعداها إلى حد أوسع ، ويلاحظ المتتبع لأدب الكاتب أن كثيراً من قصص المجموعة الأولى " لكي تشرق الشمس " وأن بعضاً من قصص المجموعات اللاحقة يندرج في إطار هذه المرحلة . كان محمد علي طه في هذه المرحلة يحرص على توثيق السلوك الفردي بمليحه وقبيحه، الأمر الذي جعل من هذا الإنتاج مادة تراثية غزيرة تنصل بعادات القرية بلغة أهلها بمأكلهم ومشربهم وعملهم بالأرض واتصالهم بالحيوان والنبات .

أما المرحلة الثانية فتظهر كثير من قصص المجموعات اللاحقة بدءا بمجموعته الثانية" سلاماً وتحية" وانتهاءاً بمجموعته الأخيرة "النخلة المائلة "، على أن هذه المرحلة وصلت ذروتها في مجموعته الرابعة "عائد المعياري يبيع المناقيش في تل الزعتر" وليس من باب الصدفة تأتي هذه المجموعة لتترجم غضباً حاداً ونقمة شديدة على كل يد تطاولت على شعبه وحاولت العبث في مصيره . فأن هذا الغضب سبقته هزيمة حزيران 1967 وخيبة فلسطينيين من حرب 1973 ، ويوم الأرض في عام 1976.

في هذه المرحلة انتقل الكاتب من الهم الاجتماعي الموضعي الذي لا يتعدى حدود القرية إلى حيز جغرافي أوسع إلى الهم السياسي العام والواعي والمتعاظم بالهوية الفلسطينية .

قالوا في أدب محمد علي طه :

قصص محمد علي طه عطر أدبي من أرضنا الفلسطينية المحتلة . تحمل قضيتها قضيتنا ، ويعبر عنها بكلمات صادرة من الأعماق ، أعماق المعايشة ومحبة الحق والفن والإنسان، تمنيت أن نعيد في مصر نشر مجموعته جميعاً حتى تزداد معرفة بهذا الأديب الكبير . (محمود أمين العالم ) .

لا جدال أن مجموعات محمد علي طه تضع الكاتب في صفوف الطليعة بين كتاب القصة العربية ذات النكهة الفلسطينية الملموسة والمحتوى الاجتماعي التقدميّ. ( اميل توما ).

يتألق محمد علي طه في قصصه كاشفاً عن قدرته على الاستفادة من أبسط التفاصيل اليومية ،متلفظا إياها لتوظيفها ضمن نسق من العلاقات المتشابكة ولإنتاج قصص تتميز بما فيها من رصد إنساني لبعض جوانب المأساة الفلسطينية . ( محمود شقير )

قصص محمد علي طه تستعمل تكنيكاً مشاكلاً، وتستخدم أصلية راسخة الجذور ، يمكن أن نعرف صاحبها بمجرد الإطلاع عليها (صبحي شحروري ).

ان محمد علي طه يواكب التجربة السرد مع الحكاية الشعبية واللهجة الشعبية ، وهو بذلك يتواصل مع نبع القصة ويواكب الذاكرة الجماعية الشعبية .(فخري صالح).

محمد علي طه الذي قدم لنا القصة القصيرة والراقية التي تطاول كبار القصة في العالم العربي والعالم عامة هو نفسه الذي نجح في تقديم المقالة النثرية الساخرة ليضيف إلى أدبنا العربي نوعاً جديداً راقياً يزيد من مكانة حركتنا الأدبية .( نبيه القاسم).

**مقتطفات من محاورات مع الكاتب محمد علي طه :**

لو طلبت منك أن تقدم نفسك لقراء الشرق ، ماذا تقول ؟  
خطر على بالي أن أجيبك أن (لو) هو حرف امتناع لوجود وأريح نفسي من الإجابة، لكن لا مناص من الإجابة، ولا شي أصعب من الحديث عن النفس .ولدت في قرية ميعار الجليلية قضاء عكا ولا أعرف تاريخ ميلادي الحقيقي .لا اليوم ولا الشهر ولا السنة ، بطاقة الميلاد ضاعت في أنقاض بيتنا المهدوم 1948، و والداي أميان ،ولا يحفظان التواريخ ،ومن خلال بحث واستقصاء مع أترابي وأبناء جيلي توصلت إلى انني ولدت 1941 مع أن البعض يصر على 1942.

ماهي أعز مجموعة قصصية على نفسك ولماذا ؟

أن المجموعة التي أحبها "جسر على النهر الحزين "..فهذه المجموعة كانت انطلاقة بالنسبة لي وللقضية المحلية- كمان يؤكد النقاد- هذه المجموعة في شهادة ميلادي الحقيقية كقاص في البلاد والخارج، وفي هذه المجموعة قصص أحب أن أقرأها بين حين وآخر .

من هو الكاتب الذي ترك أثرا أكبر في شخصية محمد علي طه الأدبية، عربياً وعالمياً ؟  
هناك كتاب كثيرون أحبهم ..وأحب أن أقرأ لهم في باستمرار ولكني لا أستطيع أن أشير الى كاتب عربي أو عالمي وأقول أني خرجت من" معطفه" . كما قال أحد الكتاب عن غوغول أنا معجب بالكاتب العملاق يوسف إدريس، ولا شك في أنه أحسن من كتب القصة القصيرة في العالم.ان قصص إدريس أرقى فنياً من قصص تشيخوف ومويسان و ودجارالن بو وأنا معجب بنجيب محفوظ وجبرا إبراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف وزكريا تامر ويعجبني من الكتاب العالميين تشيخوف وهمنغواي وماركيز .

**ملامح القصة عند محمد علي طه :**

تتميز الكاتب محمد علي طه في أنها تعكس واقع الأقلية العربية في إسرائيل، وتعكس ظلم السلطة ، فالكاتب ماهر في التقاط الحدث واللمحة الراعشة واللحظة الحرجة ، فيخرجها بأبعاد شمولية تتسع السمات المتميزة بأغوارها الانسانية الخالدة.

شكل " البيت" في قصص محمد علي طه مرتكزاً أساسياً في ربط الإنسان الفلسطيني في بوطنه وتراثه وحضارته ، وركيزة للانطلاق نحو تحقيق حلم المستقبل والبيت الذي رسمه الكاتب وأحبه هو البيت القديم في القرية حيث يمثل الدفء والتعاون المحبة العادات التقاليد والتشبث بالأرض .

خصوصية المكان لدى الكاتب محمد علي طه من أبرز ملامح قصته ، حيث يتابع الأمكنة ويترسم مواقعها ويحدد خصوصياتها ويعيد تشكيلها لتنتفض حباً نابضاً بأهلها ، محمد علي طه فتق الجرح الفلسطيني على مصراعيه وكتب عن هموم الإنسان الفلسطيني هنا، وفي المخيمات فهو أول من فتح قضيتها المحلية على معاناة أهلها في المخيمات.

كذلك تتميز قصص محمد علي طه بأسلوب الحكايا، كحس قصصي جديد ، حيث يستلهم أسلوبيه الحكايات الشعبية ، ولكنه يقفز على الأسلوب ليوظف الحكاية نفسها في الإشارة والتدليل على القيمة الاجتماعية والبعد السياسي التحريضي الذي تمتلكه الحكاية المروية ، كذلك يستخدم محمد علي طه الأمثال الشعبية كذلك اللغة الدارجة. وأيضاُ استخدم الفلكلور من أغنية شعبية،أو حكاية شعبية.

من ملامح قصص محمد علي طه أسلوبه الساخر حيث يشحن القارئ بمختلف المشاعر المثيرة ونقله من حالة لأخرى ، قد نراه يبتسم ويعبس يضحك ويبكي يغضب ويهدأ ،فإننا نلمح من وراء رغبة السخرية والشتيمة دمعة متألمة تريد الانسكاب .

استخدم الاسطورة لاداء العمق في المضمون. مثل استخدامه ببرسيفونا، وبلوتو وسربوس ...برسيفونا الجميلة التي اختطفها بلوتر وهرب بها الى عالم الجحيم لتؤنس وحدته بينما كان كلبه سربوس ينتج خلفه . وبهذا الرمز فهو يرمز الى نكبة الشعب الفلسطيني العام 1948.

يستخدم الكاتب محمد علي طه الرمز من التاريخ العربي الاسلامي. فقد وفق في استخدام شخصية مؤذن الرسول بلال ففي قصته "عائشة تضع طفلا يقرأ ما تيسر من سورة البقرة" من مجموعة "جسر على نهر الحزين "، حيث نجح الكاتب في التلاعب بالرمز الاسلامي العربي وشحن قصته بالتداعيات الموحية .

يكثف الكاتب عصارة تجربته الفنيه، وبهذا يهدف الى اضاءة حجم الاحداث التي تحويها القصة وهو يعتمد على اسلوب الدهشة والحيرة والسؤال وايضا الاحتمال لذا نجد في قصصه القدرة الفائقة على اقامة الصداع وعلى بناء الحبكة وتفتيق أبعاد الشخصيات لذلك نجد الكاتب في قصصه غير هياب فهو يطرق أبواب التجديد دائما .

الشخصية في قصصه شخصية مركزية في النص السردي والمسرحي وموقعها في مجال البطولة من حيث التقاط اللحظة واقتناص الفرصة السائحة لعقد حوار جاد مع ذاته، يصل من خلاله إلى صياغة جديدة لوعيه وفكرة يطعم الكاتب محمد علي طه قصصه بالفكاهة ،والفكاهة عنده ليس غاية في ذاتها بقدر ما هي دامعة حزينة، وهذه الفكاهة قد تظهر عبر مفردة أو جمله أو تشبيه أو استعارة أو شخصيه أو موقف عام .

والفكاهة في أدبه (سلاح حاد) أن الضحك من القلب المأساة يعني تحدي المأساة .

**رسالة من سميح القاسم إلى محمد علي طه**

واعلم أيها الأخ العزيز أيدك الله وإيانا بروح منه أن الأشخاص عوالم مؤتلفة على اختلاف ،مختلفة على ائتلاف , تجتمع على قيد شعره إذا هي اجتمعت ،حتى لكأن قيد الشعرة باحات من القضاء وساحات للنور.

أما إن في افترقت حد شفرة فإن فراسخ ظلمة تحيط بالبصر وتحبق بالبصيرة فإذا سنبلة الود خواء والعرى الوثقى قبض ريح ...

لعل ثلاثة عقود من عمر صداقتنا في دور في زمننا الحديث وكور في طبيعة العلاقات البشرية الراهنة، وعليه فإن قسمات المعرفة قابلة للإحصاء بكل ما فيها من تجاعيد التنافر ومرايا الصفاء وإذا كنت ذات يوم بعيد قدتحصت أبا علي بالتعبير الصارم الجازم :هو كاتب جيد وصديق رديء، فإنني ذاهب إلى القول فيه هذا اليوم :هو صديق جيد وكاتب جيد دون حرج من مسألة، أو حرص من الوقوع في المجاملة . وعلى مر عهدي به لاحظت براءة خيمته المدني المصنوع وبراءة براءته الصادرة عن قروي مطبوع .

وإنها لنقطة تسجل حتما لصالح الرجل , فهو لم يستنكف عن مظاهر الحداثة وطفرات الحداثيين ،بيد انه لم ينغمس في لعبة الأقنعة، ولم يستسلم لغواية الامتعال، بل ظل لصقا بالجذور طليقا بين مقالع النور. مولعاً بعبق النعناع، وأريج الحبق الناصع وفوح الميرمية الرائع وبوح الزعتر اللاذع . وبهذا يكون أبو علي قد وفق بين الصدق الإبداع وطيب الطباع وبهذا يكون أبو علي قد هيأ لي ولسائر الأصدقاء أن نقر به عينا وتصفو فيه ذهنا وتشاطره فرحا ويقاسمنا حزناً . ولهذا نتمنى له طوال العمر وفيض الخير ودفق البشر. وسلام الله عليك ورحمته وبركاته لك ولنا رب استجب لدعائنا وأرفق بأصدقائنا وامنن بالعفو عن أعدائنا يا ارحم الراحمين...أمين.

**نموذج من قصص محمد علي طه**

عائشة تضع لكم طفلا يقرأ ما تيسر من سورة البقرة

عندما مات جدي عمرو بن العاص – رضي الله عنه – التهم الوالي الجديد كل ميراثه ولم يترك لنا سو بقرة طويلة هزيلة لا تملئ العين.. ولا تشبع شهوة طامع، ومنظرها يوحي انها لاتسمن ولا تغني من جوع .لكن جدنا – رحمه الله – كان يحبها فقد امتلكها بعد معركة القادسية وحضرت معه مؤتمر الجابية، وشرب عمر بن الخطاب من لبنها قبل سفره لمقابلة بطريرك بيت المقدس ورافقته – اي عمرو – حتى اشتهر. بها واهتممنا كثير ببقرتنا، اطعمناها حبا سمينا واسقيناها ماء زلالا ،فصار ضرعها يكبر ويكبر فشربنا حليبا ولبنا وقوية عظامنا واشتد عودنا واستدارت من اللحم والشحم اكتافنا واردافنا. ولما مر صلاح الدين ممتطيا جواده في ضحى يوم خمسيني ناولناه صحن لبن فقبله شاكرا كأنه وسام ذهبي مقابل نصره الباهر في حطين .وعرفنا ما لبقرتنا من قيمة ...فحياتنا مرتبطة بها ،وقيمة وجودنا مرهونة بها. لذلك تفانينا في ارضائها وتسمينها زرعنا الزرع وحصدنا ،اخضر لتأكل واشترينا الحب وقدمناه لها منقى لتسمن. فاستدار عنقها ،وصار ظهرها فرشة اسفنج ..ام بطنها.. فقد بان الحبل.. وصار بطن عائشة يمنو بسرعة ،وحدثت ردد فعلا متنوعة بين ذوي القربى والغرباء. فألاشخاص الذين قرروا ان عائشة عاقر لم يصدقوا وحاولوا ايهام انفسهم انه انتفاخ في المعدة. فقد مضى على زواجنا ربع قرن ونيف، وكاد الناس ينسون قصة هذا الزواج ....وحديث الحمل ولكني كنت دائما واثقا برجولتي وباخصاب عائشة .فلم أصدق الطبيب المختص بأمراض النساء والولادة عندما قال في برنامجه الاسبوعي : لا يوجد لزوجتك علاج ما دام العلم الحديث لا يستطيع ان يجعل من البغلة حيوانا مخصبا .

وبقرتنا الهزيله اسالة حليبها لعاب كل من رأها وحتى من سمع بها .

جاء رجل من بلاد الانجليز خصيصا ليشرب من حليبها وبعد ان حلا ضيفا علينا لمدة ثلاثة ايام وثلث اليوم عاد ومعه قطعة جبن يحتفظ بها كأنها جوهرة نادرة .

وجاءت عجوز فرنسية وقبلت بقرتنا وطلبت ان نعطيها شعرة ولو من ذيلها وفي احد الايام جاء رجلا لا نعرف امه وقال : هذه البقرة لي فقد كانت في قطيع يعقوب في صحراء يهودا وشرب يهوشع بن نون من حليبها عندما وقفت الشمس فوق اريحا في كبد السماء.

وكانت ترعى مطمئنه في وديان يهودا ،على صوت مزمار داود .

وهكذا يا سادتي صارت بقرتنا الطويلة الهزيلة بقرة مقدسة وكثر الطامعون فيها ووضعنا بين قرنيها خرزة زرقاء. ولكن كل الرجال يحبون حليب بقرتنا، وكل الرجال يحبون عائشة وعائشة مخلصة لي .

وقال لي الطبيب النفساني :عليك ان تنسى مشكلة الحمل , وخير دواء لنسيان لعب الورق ,او تعاطي المشروبات الروحية او المخدرات , وما كان يسمع احد المحنين الاميركيين رأى الطبيب حتى تبرع لي بكل ذلك.

لكني لم اثق بكلامهم، وحبهم، وعلمهم وكنت واثقا انهم راغبون بها فتمسكت بها اكثر وزاد حبي لها .

وذات يوم اصدر الرجل ذو الغليون، فتحار بلدنا، مرسوما اعترف به ان الثدي الايمن الامامي والثدي الخلفي من ضرع بقرتنا للرجل الذي يدفع ثمنا افضل .

وقال رجل من حارتنا : ان كان زادك رائحا فرحب به، ونحن شعب حاتمي،نذبح لضيفنا الناقة الوحيدة والفرس الحبيبة ونترك اولادنا يموتون جوعا وهم ينظرون ان ينضج الحصى في قدر جدتنا، ونحن نطيع الله والرسول واولي الامر منا، والبقره حلوب وتكفي لنا جميعا .وقسمة الفرد الجبن عادت بعد سنوات وخسرنا الثدي الايسر الامامي، ولم يبق لنا سوى ثدي واحد، ولما تذمرنا قال مدخن الغليون :انتم عرب ،اين اخلاقكم وكرمكم ومروءتكم ، ان طعام واحد يكفي لعشره .

وبعد سنوات كنا بدون بقره، بدون ضرع ،بدون ثدي، بدون بطن، بطن عائشة ينمو، يكبر عائشة في شهرها الاخير .

والطيب قال: لا اصدق، والعلم لا يعترف بالمعجزات والقابلة قالت :لا يمكن ان اتحمل امراه بدون رحم وعائشة وضعت طفلا حيا وقويا .

واذاعة لندن ذكرته في موجز الاخبار .ومائه وخمسون رجلا من ذوي الياقات الانيقه يمضغون الكعك والسندويشات ويناقشون مصير الطفل ... والطفل يرضع ثدي عائشة وينمو .وبعد ايام قال :اكلوا الكعك لا علاقه للطفل بالبقره لم ارد عليهم ،ولا عائشة ردت .

ولكن حليب عائشة لم يعد يكفي لاشباع الطفل .فطالبنا جارنا بالبقره سخر منا ،قال :احلبو الثور .

ولما سمع المختار ذلك ارسل لنا برميلا من الحليب الجاف ذوبناه بماء النهر وقدمناه للطفل .

رفض الطفل ان يشرب ،ولما حاولنا ان نسقيه بالقوه اشار باصبعه الى ضرع البقره المصوره على برميل الحليب . عاد المختار بعدها وهو يحمل بقره بلاستيكية ذوب الحليب ووضعه في ضرعها ،وحالول ان يسقي الطفل رفض الطفل ان يشرب من بقره السامري ،ولما نطق اول كلمه قال :اريد بقرتي .

ورد الرجل الذي يملك دولارات كثيره اذبحها ولا اعيدها له وابتسم الطفل .

**المصادر والمراجع**

( طه ابراهيم ، قص الاثر، تأصيل التجربة القصصية لدى محمد علي طه مؤسسه الاسوار ،عكا ،2001)

(طه، محمد علي ، جسر على النهر الحزين ،عربسك عكا ،1973)

(طه، محمد علي ، النخلة المائلة ، كفر قرع ، دار الهدى ، 1995)

(بوليس، حبيب ،القصه العربيه الفلسطينيه ،انطولوميا

دار المشرق ،شفاعمرو ،1987 )

(عباس ،محمود وموريه شمونيل، تراجم واثار ، الادب العربي في اسرائيل ، ط3 ،دار المشرق ؟،شفاعمرو،1987)

(عباس محمود ،مجله الشرق ،السنه 24 ،تموز ،ايلول ،1994).